بعلم مضى عليه قرن او قرنان وقد لا تزول ابداً . ونحن نعرف جماعة من اكبر العلماء وارسخهم في العلوم الطبيعية كعباً وهم لا يستطيعون ان يحرروا انفسهم من قيد الخرافات مع محاولتهم ذلك تما قولك بجماهير العامة السريعة التصديق . وفي كل بلاد تجد فئة من الاذكياء الذين يرون موضع الضعف هذا من الجماهير فيتخذونه آلة للكسب وجر الربح . وهي فرصة سانحة لهم وهم اقدر الناس على اقتناصها فلا يتركونها تفلت من ايديهم

اخبرنا صديق صادق انهُ كان في باريس طبيب تعلم وتخرج في مدرستها الطبيةَ ونال الدبلوما المؤذنة لهُ بتعاطي صناعة الطب فاقام في منزل وكتب اسمهُ على بابهِ واستعان ببعض الاصدقاء على تعريف الناس بهِ ومضت عليهِ الايام والشهور وهو لا يكتسب من صناعتهِ ما يفي باجرة منزلهِ واخيراً اقنعهُ بعضهم ان يلجأ الى التدجيل ويدعي انهُ يشفي بالتنويم المغنطيسي وكتابة الحجب ففعل واقبل عليهِ المرضى والموسوسون واشتهر امرهُ وتبعهُ البوليس ورفعوا امرهُ الى المحكمة فابرز الشهادة التي تجيز لهُ التطبيب واستمرَّ على صناعتهِ . ونحن نعرف طبيباً نال الشهادة الطبيةَ من باريس ومن لندن ايضاً ولكنَّ كسبهُ المالي جاء من طريق المعالجة بالاستهواء . وهذه الحال لا تصلح الاَّ بعد القرون الكثيرة

مصر منذ تسعين سنة

(٩)

— اسرار الاهرام —

عزمت على زيارة الاهرام قبل ان ابرح مصر فذهبت الى فصل دولتي وعرضت عليهِ عزمي فتلطف بصاحبتي رغماً عما بهِ من المرض وخمول الجسم . ولما وصلنا الى فم الخليج اشتد بهِ السعال فاضطر ان يعود وترك احد القواصة لخدمتي ولما ودعني قال لي لقد اشتد بي الضعف يادي نوفال واراني مضطرًّا ان اتركك وحدك فاذهب مصحوباً بالسلامة وقد هيأت لك مركباً عند مرفإ مصر القديمة فاركب بحراسة الله واجتز البحر الاعظم وها ان عيني لتبعك الى ان تصل الى الجيزة وهناك تستأجر الحمير فتوصلك الى الاهرام . واذا صعدت الى قمة الهرم الاكبر اوصيك ان تحصي بدقة درجاتهِ وتعد « مداميكهُ » من اسفله الى قمتهِ لان العلماء على خلاف في ذلك . واذا زرت اهرام سقارة ودخلت مغاور المومياء ارجوك ان تأتيني بمومياء ابيس Ibis (طائر اللقلق) لاني اريد ان اقابل شكل هذا الطائر القديم بشكلهِ الجديد كما نراهُ الآن على ضفاف النيل

فودعته عند جزيرة الروضة ووعدته باحضار ما طلب . ثم اجتزت النيل الى الجيزة وانا افكر في فصلي المريض الذي وهو على شفا قبر يهتم بهذه المسألة العلمية التي شغلت افكاره وهو محسوب من علمائنا المجتهدين وله مؤلفات كثيرة في العلوم الطبيعية

وصلت الى الجيزة مع القواس وهناك استأجرنا الحمير لتوصلنا الى الاهرام . وفي الجيزة مدرسة حربية واسطبلات لتربية الخيول ومعامل لصنع البارود تحت نظارة ابرهيم باشا . وهناك ايضاً معامل لتفريخ الدجاج اصطناعيًّا . وكنا كلما تقدمنا في الطريق نرى الاهرام تصغر في اعيننا وذلك دليل على ان علوها يساوي عرضها عند قاعدتها . ولما وصلنا استقبلنا بعض فرسان العرب وهم يطلقون البنادق والغدارات في الهواء كانهم يرحبون بنا تمهيداً لاخذهم ادلاء لنا . وقد عهد محمد علي باشا الى قبيلة من قبائل العربان في حفظ الامن على خط الاهرام وحماية السياح غير انهم يمثلون احياناً امام بعض السياح الذين يتوسمون فيهم الخوف والسذاجة معركة وهمية فيتآمرون على سلبهم وذلك بان يهجم نفر منهم فجأة على السياح وهم مدججون بالاسلحة كأنهم يقصدون سلبهم والفتك بهم فيظهرحينئذٍ ادلاؤهم وحراسهم بمظهر الشجاعة والاستبسال ويخلصونهم من قطاع الطريق بعد معركة وهمية يمثلونها فيما بينهم وبهذه الوسيلة يخدعون السياح ويأخذون منهم مبلغاً طائلاً على سبيل المكافأة . وعين لي شيخ العرب المسؤول عن سلامة السياح اربعة ادلاء يقومون بحراستي واصعادي الى قمة الهرم مقابل اجرة معينة غير انها تضاعفت بما يبتزون من ثمن المشاعل والبارود واجرة الحماية

ولما وصلت الى سفح الهرم الاكبر وقفت عند الدرجة الاولى حائراً وعلوها يقارب قامتي فكيف يمكنني ارتقاؤها . وفي اقل من لمح البصر قفز اثنان من ادلائي فوق الحجر الاول وجذباني من تحت ابطيَّ بينما الاثنان الاخران حملاني من وسطي وعلى هذه الحالة صعدنا من درجة الى اخرى حتى وصلنا الى باب مدخل الهرم وهناك مصطبة متسعة جلسنا عليها للاستراحة . وما اشد دهشتي حينما رأيت بعض الفتيات الصغيرات من بنات العرب تسلقن الهضبة كالقردة من غير ان يستعنَّ باحد وفي ايديهنَّ القلل مملوءة من ماء النيل المبرد ثم وقفن امامنا وهنَّ حفاة وقدمن لنا الماء وطلبن « البقشيش » فدفعناه عن طيبة خطر ونحن مغبوطون بخفتهنَّ . ثم صعدنا الى قمة الهرم وعلى ظاهر حجارته العليا بقايا طبقة كلسية حمراء اللون وذلك دليل على ان واجهاته كانت قديماً مكللة من الاسفل الى الاعلى كالهرم الاخر مقابله . وقد رأى هيرودتس هذه الطبقة الكلسية محفوظة حينما زار الهرم سنة

٤٦٠ ق.م فالهرم الاكبر منسوب لخيوبس والثاني لشفرن والثالث لمنكرين . ومن قمة هذا الجبل الاصطناعي تظهر مناظر مدهشة بديعة على مدى بعيد فمجرى النيل يظهر للعين من وراء اهرام سقارة الى الدلتا وهناك احد عشر هرماً صغيراً ومن الغرب تظهر جبال ليبيا الجرداء ومن الجنوب غابات النخيل الخضراء حول ممفيس مدينة الالهة وعاصمة الفراعنة . واما القاهرة فتمتد من سفح المقطم في سهل متسع بقبابها العالية وجوامعها الفخمة ومآذنها التي تناطح السحاب . وعلى حجارة الهرم الضخمة نقرت اسماء السياح الذين صعدوا قوقهُ . على اني لم اجد بين اسمائهم اسم نابوليون بونابرت وفي ظني انهُ وقف عند سفحهِ ولم يصعد الى قمتهِ . وربما انفت نفسهُ الابية وهو القائد الفاتح العظيم ان يحمل بايدي العربان ويتداولوهُ كالكرة يتناقفها الصغار

وبينما كنت على اهبة النزول واذا بعربان يحملون رجلاً اشقر اللون في يديهِ قفازان كأنهُ آتٍ لحفلة رقص ولما وطئت قدماهُ مصطبة الهرم العليا ورآني حيّى رأسهُ قليلاً تحيتاً فظننتهُ في بدء الامر انكليزيًّا . وقال لي بلغةٍ فرنسوية تشوبها نغمة جرمانية « نحن الآن على اعلى قمةٍ صنعتها ايدي الانسان ولا شك اننا من قارة واحدة فيجب ان نتعارف . فانا احد ضباط الحرس لجلالة ملك بروسيا وقد سمح لي جلالتهُ ان التحق بالبعثة العلمية البروسية التي وصلت منذ امدٍ قريب الى مصر وهي تحت ادارة العالم الشهير لبسيوس للتنقيب عن الآثار التاريخية والعلمية » . ثم اخذ من محفظتهِ رقعة مطبوعة باسمهِ وقدمها لي فاضطررت ان اعرفهُ بنفسي لما بدا من لطفهِ وادبهِ . ولما عرف انني سائح دعاني لزيارتهِ في قصر ملك بروسيا اذا مررت في سياحتي بمدينة بوتسدام وقال لي ايضاً « عجباً كيف تنزل من هنا من غير ان تتناول الشاي او شيئاً من الطعام على عادة كل السياح الذين يصعدون الى هذه القمة وكما يفعلون ايضاً عند ما يصعدون الى عمود بومباي في الاسكندرية . واني ادعوك الى الاكل معي . فرأيت نفسي مضطراً لقبول دعوتهِ . سائحان اوربيان فوق قمة الهرم الاكبر وفي وسط افريقيا يجب ان يحسبا نفسيهما كمواطنين ولو كانا من بلاد مختلفة . ثم اشار الى احد العربان من ادلائهِ فوضع امامهُ سلاًّ مملوءاً بالوان الطعام وادوات الشاي فجلسنا نأكل ونحن نتبادل الحديث وقد اوضح لي هذا الضابط الالماني مهمة البعثة البروسية العلمية وما اكتشفتهُ من الآثار الثمينة . وقال انها الآن في الفيوم عند بحيرة مورويس (قارون) تبحث عن مدن التيه القديمة المدفونة التي طغت عليها مياه البحيرة كما ورد في التاريخ القديم . وقال لي ان هذه البعثة توصلت ببحثها الى اكتشاف مدن مبنية

بالطوب الاحمر منذ آلاف من السنين وقد طمرتها الرمال وفي عهد غير معلوم طغت عليها المياه فصارت مكانها بحيرة هي الآن بحيرة موريس . وعلى ما ارى ان هذه البعثة تتبع ابحاث المجمع العلمي الفرنسوي المصري الذي انشئ منذ وصول الحملة الفرنسوية . ورأيت رفيقي هذا يحادث عالماً واسع الاطلاع فسرت جداً من التقائي به وعند ما فرغنا من الاكل اخرج من سلته زجاجة « عرقي » الماني فشربنا نخب تعارفنا وذكرى التقائنا فوق قمة الهرم

ثم نزلنا من القمة وجلسنا عند مدخل الهرم وهناك مصطبة واسعة وحجر كبير من الرخام عرضه ست عشرة قدماً نقش عليه تاريخ الحملة الفرنسوية واسماء قوادها واعضاء بعثتها العلمية بحروف هيروغليفية كتبت على طريقة شمبوليون يقابلها ترجمة الكتابة باللغة الفرنسوية . وبينما كنت اقرأ هذه الكتابة وقد هزتني الاريحية والفخر الوطني واذا برفيقي البروسي وجه نظري الى كتابة اخرى على حجر ضخم وهذا مآلها « ان البعثة العلمية البروسية المرسلة من جلالة فريدريك غليوم الثالث ملك بروسيا وتحت رآسة الهر لبسيوس العالم الشهير قد زارت اهرام الجيزة الثلاثة »

وبينما نحن في الحديث اذ اقبل بعض العرب وهم ذوو لحًى كثيفة واوساطهم مدججة بالاسلحة والخناجر والخناجر وقد جلسوا على مقربة منا ينظرون الينا خلسة . ولما سألنا ادلاءنا العرب عنهم اجابوا انهم من عرب الصحراء . قلت وما شأنهم هل يقصدون النهب والسرقة والاضرار بنا ؟ قالوا كلا انهم آتون لحمايتكم من البدو وقد رأوا نفراً منهم عند سفح الهرم يترصدون نزولكم . قلت ولكن قناصلنا قالوا لنا ان لا خوف علينا من العرب وان محمد علي باشا طهر البلاد من شرورهم وجعل الاهرام والسياح تحت حمايتكم . قالوا نعم ولكن لاقبل لنا بهاجمة البدو وهم اكثر منا عدداً ولذلك دعونا هؤلاء لحمايتكم وهم من رجال قبيلتنا . فلم يعبأ رفيقي الضابط بهذا الحديث الكاذب واخذ غداراته ووضعها بجانبه بعد ان تمهدها واعدها . واخيراً ارتضينا ان ندفع الاتاوة المطلوبة منا لهؤلاء العربان الذين تظاهروا بحمايتنا وكان نصيبي من هذه الضريبة خمسة فرنكات ونصيب رفيقي كولونادا ونصف (اي ريال ابو عامود وكان متداولاً في ذلك الوقت) وقلنا لهم اننا لا نصدق رواياتكم المختلقة ولكننا ندفع هذه النقود كبقشيش لكم

ثم دخلنا الى باطن الهرم وطرقنا مسالك ضيقة معوجة صعوداً وهبوطاً مرة نطأطئ رؤوسنا وآونة نزحف على ركبنا الى ان وصلنا الى شق متسع بين صخرتين قيل لنا انهُ هوة عميقة لا قرار لها وكان بعض العربان يتقدموننا ويهدم المشاعل الى ان نزلنا نحو مائة

وخمسين قدماً . ثم صعدنا في درج متعرج مسافة مئتي قدم ووصلنا الى مغارة متسعة في وسطها بئر عميقة مظلمة . وهناك باب منقور في الصخر يتصل بمغارة او مخدع واسع هو النقطة الوسطى من الهرم و يقال لهُ ايضاً « قاعة الملك » . ولما وصلنا الى هناك اطلق العربان بنادقهم وغداراتهم في الهواء ولما سألناهم عن السبب اجابوا انهم يفعلون ذلك لطرد الثعابين والافاعي والخفافيش المشئمة هناك لئلاَّ تؤذينا والحقيقة انهم يريدون قبض الكولونادا المعهود ثمن البارود . ثم خرجنا من هناك ورجعنا الى مدخل الهرم وجلسنا على المصطبة وكان رفيقي البرومي يشرح لي كيفية بناء الاهرام والغرض من انشائها ويروي لي عن اسرار الكهنة المصريين القدماء وحفلاتهم واجتماعاتهم السرية داخل هذا الهرم والمسالك الخفية الارضية الممتدة بينهُ و بين معبد الالهة ايزيس في منفيس (البدرشين) روايات غريبة مدهشة وعلى ما اظن ليس بين علماء الدنيا من يهتم باظهار مكوتات التاريخ وخفايا اسرار العاديات ورموز المعبودات والاديان القديمة غير العلماء الالمان

فقد قال لي هذا العالم البرومي ان الكهنة المصريين الاقدمين جعلوا مداخل الهرم واقبيتهُ ومغاورهُ وهوَّاتهِ ومسالكهُ الضيقة المتعرجة محفلاً او ناديًا سريًّا لاجتماعاتهم الخفيَّة وحفلاتهم الكهنوتية ولمداولة في شؤون مصر السياسية والقضائية والدينية . وهنا يجتمعون لاختيار المترشحين وامتحان طالبي الدخول في سلك الكهنوت المصري . فبعد ان يعلم الطالب الحكمة والاصول الدينية واسرار الالهة يصدونهُ لاختبارات عديدة بدنية وادبية (على مثال الامتحانات الماسونية الآن) فيستقبل الكهنة المترشح عند مدخل الهرم ويضعونهُ في عربة صغيرة قصيرة يتربع فيها كجلة المتقدم يدفعونها بقوة في المسلك المنحدر فتهوي بسرعة الى الغرفة الوسطى عند البئر او الهاوية العميقة كما يفعل في بعض العاب لونابارك . فاذا جاز هذا الامتحان غير هيَّاب ولا وجل يصدونهُ للامتحان الثاني وهو انهم يضعون على رأسهِ خوذةً علَّق عليها مصباح صغير ليستنير بهِ عند انحدارهِ في الهاوية العميقة مسنداً رجليهِ الى حافتيها وممسكاً بسامير حديدية بين الواحد والآخر ذراع الى ان يصل الى قعر البئر وهناك يجد باباً حديديًّا يفتحهُ ثلاثة رجال على وجوههم صفائح نحاسية تمثل وجه الكلب وهو هيئة المعبود انوبيس عندهم . ويجب على المترشح ان لا يظهر خوفاً ولا وجلاً ولا يبالي بتهديدهم وتباحهم ويجتاز الممشى الطويل او السرداب الضيق زاحفاً على يديهِ ورجليهِ الى ان يصل الى شبه غابة كثيفة مظلمة . وفي الامتحان الثالث تظهر امامهُ تلك الغابة مستعرة بلهيب النيران وحينئذٍ يشير اليهِ اولئك الرجال ان يجتاز تلك الغابة الملتهبة بلا تردد ولا خوف

وما هي سوى نار اصطناعية فاذا اجتازها بجراءة يصل الى نهر او بحيرة كبيرة عميقة تتلاطم امواجها بقوة بواسطة رفاصات وعجلات ميكانيكية . وعلى المترشح ان يجتازها سباحةً من ضفة الى اخرى ولا يخشى الغرق والامواج تدفعهُ الى الوراء حتى يتغلب عليها بمدان تخور قواهُ من التعب . وعند الضفة سلم عالٍ دقيق يتمسك بهِ . وحينئذٍ يبتدئ الامتحان الرابع وذلك ان عاصفة قوية تثور فكما وضع المترشح رجلهُ على درجة السلم يهتز اهتزازاً عنيفاً قوياً ويتمايل بهِ يمنةً ويسرةً حتى يكاد يسقط في الماء فيجب عليهِ ان يتغلب على تلك العواصف والرياح الى ان يصل الى اعلى درجة من السلم بعد ان تنهك قواهُ فيلقى حلقتين من الحديد يتمسك بهما ويبقى ساعة معلقاً في الفضاء الى ان يفتح امامهُ باب على قيد عدة اذرع منهُ فيجب عليهِ ان يترجح وهو متمسك بالحلق الى ان تصل رجلاهُ الى عتبة الباب فيقفز الى الداخل فاذا تمكن من ذلك اجتاز هذا الامتحان والاَّ هوى من ذلك العلو الشاهق الى البحيرة وطرد مهاناً خائباً . فاذا دخل وجد نفسهُ في صحن هيكل للمعبودة ايزيس في وسطهِ تمثالها البديع العاري فيستقبلهُ كهنتها بالتجلة ويهنئونهُ باجتيازهِ الامتحانات السابقة

ان الذين يجتازون هذه الامتحانات الاربعة من المترشحين للكهنوت المصري لقليلون ويندر جدًّا من يقدر ان يجتاز الامتحانات الباقية وذلك أن في داخل الهرم سرداباً طويلاً ضيقاً سريًّا تحت الارض يصل الى هياكل الالهة العظمى في محفيس عاصمة مصر (البدرشين) فيجب على المترشح للامتحان الخامس ان يجتازهُ مشياً وزحفاً وصعوداً وهبوطاً حتى يصل الى مدخل هيكل الالهة ايزيس وهناك يستقبلهُ كهنتها وكاهناتها باحتفال والموسيقات تعزف والاناشيد تنشد فيجب عليهِ في هذا الامتحان ان يطهر نفسهُ وجسمهُ بصوم مدتهُ واحد واربعون يوماً قبل ان يشاهد مجد المعبودة ايزيس ارملة اوزيرس وجلالها العظيم وجمالها الفتان . فيصوم الطالب من مشرق الشمس الى مغربها وعند المساء يعطى قطعة صغيرة من خبز الالهة وجرعة من ماء النيل المقدس ويسمح لهُ في مدة هذا الصوم ان يجالس الكهنة ويحضر مجتمعاتهم ويتلقى دروس الحكمة وبعض الاسرار الدينية وانساب الالهة وتواريخهم ولهُ الحق في البحث والاستقصاء والاستفتاء والسؤال عن بعض الدروس الغويصة والاختلاط مع هؤلاء القوم المنقطعين عن العالم تحت اقبية الهياكل حتى ان سميراميس الاشورية التي ملكت بابل قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة لما اتت لمصر وارادت ان تضع اساسات مدينة بابل الجديدة (مصر القديمة الآن) ذعرت وارتاعت لما رأت جيشاً من الكهنة تحت سراديب الهياكل القديمة منقطعين عن العالم الخارجي

فقلت لرفيقي دعنا من هذه الاقاصيص اليونانية الخرافية وتم حديثك عن الامتحانات الاخرى فقال

بعد ان يطهر الطالب نفسهُ بهذا الصوم الطويل يجب عليهِ ان يخلي برياضة روحية دينية مدة ثمانية عشر يوماً يسمح لهُ في اثنائها بمطالعة كتب الكهنة ويعطى ورقاً وحبراً وقلماً ليكتب تقريراً صحيحاً عن سيرة حياتهِ الماضية يكون اعترافاً مدققاً . ويتلى هذا التقرير في مجمع سري من الكهنة ثم يوثى بالمترشح الى هذا الاجتماع ويختبر شفاهيًّا باسئلة وامتحانات دقيقة مدة اثني عشر يوماً واخيراً اذا تحققت اهليتهُ يسمح لهُ ان يرقد مدة تسعة ايام تحت قدمي تمثال ايزيس بعد ان يتلو امامها صلوات وتضرعات يطلب فيها ان تظهر لهُ في نومهِ وتلهمهُ الحكمة وتنير ذهنهُ في العلوم والاسرار الدينية

وبعد ثلاثة اشهر يقضيها الطالب في تمرين فيها على الحكمة ومعرفة الاسرار والتنزل بجمال الالهة ايزيس حتى يصبو الى مرآها حية تظهر لهُ بجمالها الفتان وتبتسم لهُ وتمد لهُ ذراعها فيطير قلبهِ فرحاً فاذا كتم عشقهُ وسجدلها خاشعاً فانهُ يجتاز الامتحان السادس والأ فاذا مد يدهُ ليلمسها او ليقبل ذراعها احاطت بها غيوم من البخور والروائح العطرية وغابت عن بصرهِ وطرد من الهيكل

ثم تصنع للمترشح الذي يجتاز هذا الامتحان وليمة حافلة ويجلس بين الكهنة ويسقى من خمر الالهة المصنوع من عصير اللوتس فيغلب عليهِ النعاس وينام نوماً عميقاً وينقل وهو على تلك الحالة الى ضفاف بحيرة قارون وهناك حدائق غناء وجنان سرية في مرج تحيطهُ الاودية الخصيبة تجري من حولها الجداول والسواقي وهذه الجنات حرم للكهنة ايزيس لا تطأها اقدام غريبة وهي محاطة بتلال واودية ووهاد عميقة وغابات كثيفة وقد غرس فيها كل ما على وجه البسيطة من انواع الاشجار المثمرة والرياحين والازهار ومرحت فيها الحيوانات الداجنة والايائل والغزلان وحامت عليها الطيور الجميلة وهي تسبح الالهة وتغرد بكرة وعشية . ولهذه الجنان باب واحد يدعى باب الفردوس . واذا استيقظ المترشح من رقادهِ العميق يرى نفسهِ وحيداً في غياض الورد والازهار فيسير في تلك الرياض جذلاً نشوان يتمتع بنسيم الجنان . الاَّ انهُ يمل من تلك الوحدة والعزلة فتذكو فيهِ عاطفة الحب وتصبو نفسهُ الى الالفة مع شخص مثلهِ او امرأة تؤنسهُ في وحدتهِ وحينئذٍ تظهر امامهُ فتاة بديعة الحسن والجمال وهي حورية من الجنان تظهر على مثال المعبودة ايزيس تكتنفها غمامة بيضاء وتشير اليهِ بالدنو منها وتسمح لهُ ان يتمتع بمرأى جمالها ومحاسنها البديعة الفاتنة مكافأة لهُ على اجتيازهِ الامتحانات السابقة

وحينئذٍ يبتدئ الامتحان السابع والاخير فتقدم لهُ تلك الحورية ثمراً حرم عليهِ الاكل منهُ او تذويقهِ لان يتبع ملذات طبيعية يجب عليهِ ان يعفَّ عنها فاذا تناول الثمر منها او اظهر ميلاً اليها اختفت الحورية من امامهِ في الحال وطرد من نعيم الفردوس الى الأبد فيرجع الى نعاسهِ ويُخرَج من النعيم واذا استيقظ يجد نفسهُ ملقى عند سفح الهرم مطروداً مهاناً »

فلم املك حينئذٍ من ان اقول لرفيقي البروسي انك تقروي لي قصة آدم وحواء التي ذكرها موسى في بدء سفر التكوين فقال نعم ولكن هذه القصة كانت معروفة عند الكهنة المصريين الاقدمين قبل موسى بآلاف من السنين وكذلك ذكرت في كتب الفرس والهنود الاولين فرواية آدم وحواء او بالحري بدء الخليقة شائعة ومعروفة عند كل الشعوب الاقدمين تحت صور مختلفة الاَّ ان الموضوع فيها كلها واحد . وقد اكتشف اخيراً احد علمائنا في بلاد الصعيد الاعلى حجراً نقش عليهِ منذ اربعة آلاف سنة صورة رجل واقف مع امرأة عارية تحت شجرة تحمل ثمراً وتلتف حولها حية رأسها على شكل المعبود تيفون اله الشر والمرأة تقدم للرجل ثمرة من الشجرة المحرمة . فلا يداخلك شك ان رواية الفردوس والحية والشجرة كانت معروفة عند الكهنة المصريين قبل ان يكتب موسى سفرهُ بآلاف من السنين . ومما لا ريب فيهِ ايضاً ان موسى نفسهُ الذي تربى في قصر ابنة فرعون قد درس علوم المصريين وعرف اسرارهم وطلب الدخول في طغمة الكهنة وجاز الامتحانات الستة الاولى ولكنهُ سقط في الامتحان السابع الاخير وطرد ولذلك عمد الى مناصبة الكهنة المصريين العداء جهاراً الى ان خلص شعبهُ من عبوديتهم وكتب لهم التوراة اي الاسفار الخمسة ومعظم رواياتها التاريخية وطقوسها الدينية واحكامها الشرعية مقتبسة من المصريين الاقدمين

فقلت لرفيقي يظهر لي ان افكارك مشبعة بتعاليم فولتير المخالفة للدين وآراء نيذم فريدريك الثاني ملككم السابق . فاجابني بحدةٍ نحن الالمان اكثر منكم تديناً ايها الفرنسويون ولكن دأبنا ان لا نسلم بقضية ما الاَّ بعد البحث والتدقيق وتحليل المسائل التاريخية تحليلاً علمياً اثرياً وتمحيصها تمحيصاً دقيقاً حتى نصل الى الحقيقة . فرواية آدم وحواء ولو كان الهنود والفرس والمصريون ذكروها قبل موسى لا تخلو من الحقيقة فسواء نقلها موسى عن المصريين بعد ان درس فلسفتهم واطلع على علومهم واسرارهم او نقلها عن غيرهم فهي حقيقة . ثم انهُ ليس موسى وحدهُ هو الذي سقط في الامتحان الاخير بل ان كثيرين غيرهُ من العلماء والفلاسفة اليونان والرومان الذين زاروا مصر وطلبوا الدخول في سلك

الكهنة المصريين واخذوا عنهم علومهم الدينية سقطوا في تلك الاضحانات كتريبتولين واورفي وفيثاغورس وهيرودتس كما تقدم وغيرهم (١)

فالاول اسس جمعية افلافيس السرية في اتيكا والثاني انشأ الجمعية الشهيرة عند اليونان بجمعية الكابير ونشرها في لمنوس وساموثراكي وغرضها عبادة الالاهات عبادة مادية جسمية والثالث كتب عن ديانة المصريين وانشأ جمعية خفية معروفة بجمعية ليتان السرية وضع فيها لليونان عبادة عشتروت الاهة الزهرة عند الفينيقيين

وما انتهى رفيقي من مباحثه الخرافية حتى غربت الشمس ولم يعد في وسعنا الرجوع الى القاهرة في تلك الليلة فبتنا في فندق صغير او منزل خلوي في سكة الهرم لاحد الطليان. وفي صباح اليوم التالي ذهبنا الى البدرشين وتفرجنا على آثار ممفيس القديمة وزرنا اهرام سقارة ورأينا هناك الهرم المبني بالطوب الاحمر الذي بناهُ العبرانيون للملوك الفراعنة على عهد عبوديتهم في مصر ودخلنا الى مدافن الحيوانات المقدسة وفيها الوف بل ملايين من الهررة والكلاب والطيور والاسماك والتماسيح والحشرات المحنطة . ولم انس وعدي لقنصل فرنسا فاخذت مومياء الطير ابيس وجدثها ضمن قارورة من خزف طيبة ثم ودعت رفيقي الضابط البرومي ورجعت الى القاهرة

وعلى اثر وصولي ذهبت الى القنصل لاودعهُ قبل سفري واعطيهُ المومياء فقيل لي ان المرض اشتد بهِ فسافر الى الاسكندرية للاستشفاء وعلمت بعد ذلك انهُ ذهب الى اسباتيا وتوفي هناك فاسفت كثيراً على موتهِ . وفي اليوم التالي تهيأت للسفر الى دمياط بطريق النيل في المركب الذي كنت قد استأجرتهُ بواسطة القنصل وكان راسياً في مرفإ بولاق

ديتري نقولا

---

(١) تريبتولين ملك افلافسيس في اليونان اخترع ادبيات الخرافة وزار مصر ورجع الى بلادهِ وعلم اهل اتيكا الفلاحة والزراعة . واورفي ملك تراقية كان بارعاً في الموسيقى وزار مصر وفقد زوجتهُ افريديس فطاف اقطار الارض وهو يفتش عليها حاملاً قيثارهُ الى ان وجدها . وفيثاغورس عالم وفيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع ق . م ولد في ساموس وساح في سورية ومصر وهناك تعلم حكمة المصريين ورجع الى بلادهِ وانشأ جمعية سرية معروفة ظاهرًا بالزهد عن العالم ولهُ مؤلفات واختراعات مدهشة والغرض بنسب اكتشاف القياس المنطقي والعناصر الاربعة وحلول الضرب . واما هيرودتس فمؤرخ يوناني عاش في القرن الثالث ق . م . ومشهور بلقب ابي التاريخ طاف في كل بلاد الشرق وزار مصر وفينيقية ودرس علوم المصريين ولهُ مؤلفات تاريخية مدققة يعتمد على صحتها وكتب باستفاء واسهاب عن ديانة المصريين وعلومهم واسرار كهنتهم